

التمويل الذاتي وتثمين المعرفة كألية لتحسين جودة التعليم العالي: الجزائر نموذجاً

نسعى من خلال هذه الورقة إلى تقديم رؤية استشرافية لتحسين جودة التعليم العالي وتثمين المعرفة العلمية في الجزائر، من خلال مقارنة علمية أكاديمية، ترى في خصخصة التعليم العالي الحل العملي والواقعي، الجدير بلفت انتباه صانع القرار لاعتماده كأجندة في السياسة العامة، وفق آلية تعليمية متوازنة تضمن جودة التعليم العالي من جهة وتعطي لجميع طبقات المجتمع وعلى اختلاف أوضاعها الاقتصادية فرصة للالتحاق بالجامعة. تستهدف هذه المقاربة بث روح المسؤولية، وإعادة صناعة رؤية جديدة، تنفضُ عن المجتمع غبار الاتكالية من خلال زرع الوعي وكشف حقيقة المجهودات المبذولة والنفقات المالية المرصودة من قبل الحكومة للعملية التعليمية برمتها، فالمتأمل لوضع معظم الجامعات العربية والجزائر بصفة خاصة يدرك مدى التحول الذي أصاب هذه المؤسسات التي أصبحت عبارة عن بيروقراطيات ضخمة، تنشط ضمن نظام زبائني يقدم شهادات لا تعكس المستوى الحقيقي لأصحابها، في مقابل خدمة تعليمية رديئة ومستوى متدني جعلت هذه المؤسسات تعمل فقط لإعادة استنساخ نفسها، بإنتاج معلمين في جميع الأطوار من الابتدائي وصولاً إلى المؤسسة الجامعية نفسها، وبالعودة إلى تثمين المعرفة وخصخصتها، فربما تثير هذه النقطة حفيظة الطبقات الهشة من المجتمع وتتصور أن هذه العملية تجعل من الجامعة برجاً عاجياً لا يرقأه إلا أبناء الطبقة البرجوازية، غير أن المقاربة لا تعدو أن تكون عملية تنظيمية هادفة ومتكاملة تدرس النفقات الإجمالية المرصودة للعملية ثم تُغيّر إجراءات تقديمها، من خلال استنهاض الهمم وتحمل المسؤوليات، بحساب إجمالي المصاريف المقررة سنوياً لكل طالب، وتقديمها له على شكل قروض طويلة الأجل وبمبالغ معقولة يغطي بها نفقات التمدن طيلة مساره الجامعي، على أن يبقى هذا القرض دين في ذمته يسدده بالتقسيط وعلى المدى الطويل بعد التحاقه بسوق العمل، وربما إن لم يتحصل الطالب على فرصة عمل أو أخفق في مساره الجامعي توضع صيغة افتراضية احتمالية لاسترجاع المبالغ المصروفة، بناء على خطة محكمة الهدف الأسمى منها ضمان جدية الطالب في التحصيل

وتحريك الوعي لديه ولدى المنظومة الجامعية قاطبةً بأهمية العملية التعليمية، وبضرورة تثمين الإنتاج المعرفي، نضمن على إثرها التخلص من ذهنية التحصيل العلمي الرديء، و تقديم شهادات دون مردود فكري حقيقي، وبالموازاة نجعل الجامعة مؤسسة إنتاجية اقتصادية تساهم في الدخل القومي المباشر مثلما هي الجامعات العالمية.

الكلمات المفتاحية: التعليم العالي، الخصخصة، الموارد، الجودة، النفقات، المردودية